بحث رقم ٨

منهج الشيخ ابن سعدي في تفسير القرآن الكريم

د. عبد الله بن مقبل القرنـي*

مقدمة:

الحمد لله الكريم المنان، الذي أنزل على عبده الفرقان، و الصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان. أما بعد

فاستجابة للدعوة الكريمة من قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بمناسبة عقد مؤتمر عالمي حول مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف، أتقدم بهذا البحث "منهج الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" مشاركة للأخوة الفضلاء المشاركين في هذا المؤتمر المبارك الذي يهدف إلى التعريف بجهود العلماء في خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإبراز مناهجهم المتنوعة في ذلك، في محاولة للتأكيد على أهمية المنهج السليم في شرح نصوص الكتاب والسنة، والوصول إلى أفضل المناهج، وأكثرها مناسبة لحاجات العصر ومتطلباته. وقد اخترت هذا المفسر ومنهجه في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لأسباب أبينها فيما يلي:

- ❖ إبراز جهد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المفسِّر في خدمة كتاب الله.
- ❖ الإسهام في السعي للوصول إلى أفضل المناهج وأقومها في تفسير كتاب الله.

* رئيس قسم الحسبة بجامعة أم القرى، الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة، والمتعاون بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكة المكرمة ص. ب ١٤٠٦٦ فاكس ٠٠٩٦٦٢٥٥٣٠٨٣٢/الهاتف المحمول: ٠٠٩٩٦٦٥٥٥٢٢٤٤٨/
Email.alqrni@hotmail.com/alqrni@gawab.com

- ❖ انفراد هذا التفسير بميزات عديدة.
- ❖ تيسير الإفادة والاستفادة من هذا التفسير.
- ❖ إمكانية ترجمة هذا التفسير بلغات عديدة.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن السعدي[1]:

اسمه: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي.

نسبه: أصله من قبيلة بني تميم من بني عمرو إحدى بطون قبيلة تميم من نجد.

كنيته: كني بأكبر أولاده عبد الله فيكنى بأبي عبد الله.

مولده: ولد في مدينة عنيزة، من مدن منطقة القصيم، وسط الجزيرة العربية في اليوم الثاني عشر من شهر محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية (١٣٠٧هـ).

أسرته: ينحدر من أسرة علم وصلاح وفقه فأبوه ناصر هو الواعظ للناس في الجامع الكبير بعنيزة، كان ينوب عن قاضي البلد في الإمامة والخطابة.

وأمه من آل عثيمين من آل مقبل من آل زاخر بطن من الوهبة.

نشأته: نشأ السعدي يتيماً حيث توفيت أمه وعمره أربع سنوات، وتوفي أبوه وعمره سبع سنوات. فتربى يتيماً، حيث كفلته زوجة أبيه، ولما شبّ انتقل إلى بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر السعدي.

طلبه للعلم: نشأ نشأة صالحة، وكان على قدر وفير من الذكاء والفطنة والرغبة في طلب العلم، وقد بدأ حفظ القرآن في سن مبكرة حتى أتمه وحفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة وأتقنه في الثانية عشر من عمره وشرع في طلب العلوم وأخذ يتلقاها عن علماء بلده وغيرهم ممن قدم إليها وبذل جهده في سبيل ذلك حتى نال الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من العلوم والمعارف. كان شغوفا بطلب العلم، يحب العلماء ومجالستهم والاستفادة منهم.

أشهر شيوخه: الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر وكان أول من قرأ عليه. الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة والشيخ العلامة الموريتاني محمد الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة في الزبير.

حياته العلمية: في سن الثالثة والعشرين ابتدأ الجمع بين طلب العلم وتدريسه حيث عمل على تعليم الناس أمور دينهم وبيان حكم الإسلام فيما يعرض لهم في واقع حياتهم ومجتمعهم

[1] ينظر **علماء نجد خلال ستة قرون (٢/٤٢٢-٤٣١)** للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام الطبعة الأولى مطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة ١٣٩٨هـ. و**الجهود الدعوية والعلمية** للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله (١٥-١٩).

واهتم ببعض طلبة العلم وأولاهم عنايته الخاصة، إذ توسّم فيهم النباهة والجد والاجتهاد في تحصيل الفقه بأدلته من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، وأصبح له تلامذة كثيرون [1].

أبرز تلاميذه: الشيخ محمد بن صالح العثيمين الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، عبد العزيز محمد السلمان، عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل وغيرهم[2].

مؤلفاته: العلامة السعدي عالم فقيه مفسر محدث متبحِّر في كثير من العلوم ألَّف في معظم أبواب العلم، من التفسير وعلومه، والحديث وشروحه، والفقه وأصوله، والتوحيد ومقاصده، وكانت معظم كتبه تصل إلى طلبة العلم في كل مكان وبالمجان حيث يتولى أبناؤه الأبرار وتلامذته الأخيار، نشرها وإشاعتها بين الناس احتساباً لوجه الله تعالى، وقد جاوزت مؤلفاته الأربعين كتاباً ومن أهمها:

أ- تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن.

ب- القواعد الحسان لتفسير القرآن.

ت- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

ث- الوسائل المفيدة للحياة السعدية.

ج- له ثلاثة دواوين خطب منبرية نافعة.

أعماله[3]:

- كان الشيخ السعدي أول من أنشأ مكتبة في بلدة"عنيزة" عام ١٣٥٩هـ.
- تولى الإمامة والخطابة في الجامع الكبير من عام ١٣٦١هـ.
- عهد إليه بالإشراف على المعهد العلمي في عام ١٣٧٣هـ.

إضافة إلى قيامه بالكثير من الأعمال الخيرية[4].

وفاته: أصيب رحمه الله بمرض شديد مفاجئ أنذر بدنو منيته، حيث وافاه الأجل في ليلة الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ بمدينة عنيزة، وقد ترك أثراً وحزناً عميقاً في نفس كل من عرفه أوسمع عنه أو قرأ له رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلمه ومؤلفاته.

---

[1] **علماء نجد خلال ستة قرون** (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).

[2] **علماء نجد خلال ستة قرون** (٢/٤٢٧).

[3] **الجهود الدعوية** (ص٢١).

[4] ينظر **الجهود الدعوية** (٢٠- ٣٤).

آمين. وقد توفَّى اللهُ الشيخَ السعدي سنة ١٣٧٦هـ تاركاً خلفه ثلاثة من الأبناء هم: عبدالله ومحمد وأحمد[١].

ثناء العلماء عليه: أثنى عليه كثير من العلماء منهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ محمد بن صالح العثيمين[٢].

يقول العلامة الفقيه والمؤرخ المحقق الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام في كتابه القيم "علماء نجد خلال ستة قرون" عن شيخه السعدي: "وتفتحت أمامه آفاق العلم، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجِّح من الأقوال ما رجّحه الدليل وصدّقه التعليل...[٣]".

المبحث الثاني: تعريف بكتاب (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان):

يقول الشيخ السعدي عن تفسيره في مقدمته: "ولما منَّ الباري عليَّ وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين ونبه على أنه يذكر عند كل آية ما يحضره من معاني وهذا يدل على أن أصل هذا التفسير عن طريق التعليم والمدارسة، ولذا أشاد به العلماء، وأقبل عليه طلاب العلم. وقد طبع عدة طبعات، ونفع الله بهذا الكتاب في حياة الشيخ وبعد وفاته. ومن أشهر طبعات الكتاب طبعة دار المدني بجدة في خمسة مجلدات، والطبعة التي اعتنى بها عبد الرحمن اللويحق طبعت في مؤسسة الرسالة في مجلد مضغوط، ثم طبعت في مكتبة الرشد في مجلد مضغوط أيضاً، ثم الطبعة التي اعتنى بها سعد بن فواز الصميل وطبعتها دار ابن الجوزي بالدمام السعودية في مجلد مضغوط وهي التي اعتمدتها وأحيل إليها.

ثناء العلماء على (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان):

أثنى على هذا التفسير جمع من العلماء في حياة الشيخ وبعد وفاته ومنهم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى حيث قال: "إن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي

---

[١] **علماء نجد خلال ستة قرون** (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

[٢] ينظر **مقدمات كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** طبع دار ابن الجوزي (ص١٣).

[٣] ينظر **علماء نجد خلال ستة قرون** (٢/٤٢٣-٤٢٤).

رحمه الله تعالى المسمى "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة منها[1]:

١. سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

٢. تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكر.

٣. تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون قويا تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد[2].

٤. السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

٥. دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم وهذا يظهر جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة [الآية: ٦] حيث استنبط منها خمسين حكماً، وكما في قصة داود وسليمان في سورة ص[الآية ٤٠].

٦. أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف١٩٩]. ثم قال: "ومن هنا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم".

وأسأل الله أن ينفع به مؤلفه وقارئه، إنه كريم جواد، وصلى الله عى نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٤٢١/٣/٢٢هـ[3].

وقال الشيخ / عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل[4] "الحقيقة أن هذا التفسير قد وضع الله له القبول بين المسلمين فهو يذاع في إذاعة القرآن الكريم بالمملكة يومياً مرتين، ويقرأ في المساجد على جماعة المصلين ، ويدرس في حلقات المشايخ ، وقد طبع عدة طبعات.....وهذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم لسهولة عباراته فهي سهلة المباني ، واضحة المعاني، خالية من التعقيدات والإسرائيليات ومشاكل الإعراب، وذكر الخلاف ، وأهم شيء سلامته

---

[1] سيرد في ثنايا البحث إن شاء الله أمثلة على ذلك.

[2] **تيسير الكريم الرحمن** (ص١١). من الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ تحقيق عبد الرحمن اللويحق.

[3] ينظر مقدمات كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. **تيسير الكريم الرحمن** (ص١١). من الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ تحقيق عبد الرحمن اللويحق.

[4] رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً بالمملكة العربية السعودية.

من تأويل آيات الصفات، حيث يفسرها على منهج السلف، إضافة إلى ما فيه من الاستنباطات الدقيقة وذكر ما يستفاد من كل آية يمر بها في موضعها دون الإحالة إلى موضع، آخر وحسبك ما أرشد إليه من الأخلاق الإسلامية ، والحكم النبوية، والآداب الشرعية كل هذا بعبارات سهلة واضحة يفهمها عامة الناس ويستفيد منها طلاب العلم،فهو في الحقيقة من السهل الممتنع ولطالما تمنيت ودعوت الله تعالى أن يهيئ لهذا التفسير من يترجمه إلى إحدى اللغات الأجنبية لاسيما اللغة الإنجليزية لعل الله أن ينفع به هناك فهو أبلغ دعاية إلى الدين الإسلامي وبالله التوفيق[1].

ويقول سعد بن فواز الصميل الذي اعتنى به عناية فائقة في الطبعة التي طبعها[2]:

من المؤلفات التي أثنى عليها العلماء في هذا العصر ونال شهرة واسعة، ووضع الله له القبول بين الناس تفسير العلامة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ)، وذلك لما تميّز به من أمور:

أولاً: حرص المؤلف رحمه الله على أن يكون تفسيره مقتصرا على المعنى الإجمالي ، حيث إن كثيراً من المفسرين إما أنهم استطردوا وأطالوا في تفسير كتاب الله ، أو اقتصروا على جوانب لغوية أو فقهية ، فأراد رحمه الله أن يجعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة له ؛ ليتعرف الناس على معنى كلام الله فيهتدون بعلومه، ويتخلقون بأخلاقه وآدابه بأقرب الطرق.

ثانياً: اختيارات الشيخ رحمه الله تنم عن ذكاء عقله وصفاء قلبه وسيلان ذهنه لأقوال السلف من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الورادة في التفسير ، فكأنه رحمه الله جمع الأقوال الواردة في تفسير الآية ثم صاغها بعبارته المعروفة[3].

ثالثاً: تمييز تفسيره رحمه الله بألفاظه السهلة ، وعباراته الواضحة ، فلا تكلف فيه ولا تعقيد ، ولا إسهاب ولا إطناب ، على وجه يحصل به الفهم لأهل العلم ومن هم دونهم

رابعاً: حسن التأليف وربط الكلام بعضه برقاب بعض دون عناء في سبك العبارة وهذه سمة بارزة في تفسيره رحمه الله.

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن** (ص٩-١٠) من الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ومقدمة الطبعة التي اعتنى بها سعد بن فواز الصميل طبع دار ابن الجوزي.

[2] **تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان** طبع دار ابن الجوزي بعناية سعد بن فواز الصميل.

[3] **مقدمة الكتاب** (ص٩).

خامساً: اشتمل الكتاب على جملة من الفوائد العلمية والتربوية المستنبطة من كتاب الله أشار إليها المؤلف في ثنايا تفسيره وهي فوائد متنوعة في التوحيد والفقه والسيرة والمواعظ والأخلاق وغير ذلك من الفوائد.

سادساً: وهو أهمها سلامة الكتاب من التأويلات الفاسدة والأهواء والبدع والإسرائيليات، فالمؤلف رحمه الله آخذ بنصوص الكتاب والسنة ومتبع الآثار الواردة عن السلف الصالح [1].

الدراسات والأبحاث السابقة:

اطلع الباحث على عدد من الدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت حياة الشيخ السعدي وجوانب من مؤلفاته واهتماماته ومنها رسائل علمية على النحو التالي:

١) الدراسة الأولى: وهي بعنوان "الشيخ عبد الرحمن السعدي حياته، علمه، منهجه في الدعوة إلى الله" أعدها للماجستير عبد الله بن سعود العمار عام ١٤٠٥/١٤٠٦هـ في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. حيث ترجم لحياة الشيخ السعدي وتحدث عن الجوانب الدعوية في حياته.

٢) الدراسة الثانية: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً رسالة ماجستير للباحث عبد الله بن سابح الطيار مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الإمام بالرياض عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـ طبع دار ابن الجوزي الأولى ١٤٢١هـ السعودية. وسأتناول هذه الدراسة بشيء من التفصيل لصلتها بموضوع بحثي ولما أفدته منها كما سيأتي.

٣) الدراسة الثالثة: بعنوان "الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وجهوده في توضيح العقيدة" رسالة ماجستير مقدمة من الطالب عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد لقسم العقيدة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٧هـ.

٤) الدراسة الرابعة: عن الجهود الدعوية والعلمية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي وأصله بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من الطالب عبد الله بن محمد الرميان للمعهد العالي للدعوة فرع جامعة الإمام بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ.الطبعة الأولى دار المسلم الرياض ١٤١٩هـ.

٥) الدراسة الخامسة: الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي دراسة تحليلية ناقدة للباحث عبد العزيز بن عبد الله الرشودي طبع دار ابن الجوزي (١٤٢٠هـ).

[1] **مقدمة الطبعة التي اعتنى بها سعد بن فواز الصميل** طبع دار ابن الجوزي (ص٩).

٦) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي جمع وتقديم محمد حامد الفقي طبع مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٦هـ.

٧) أثر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة تأليف عبد الله بن محمد الطيار طبع دار ابن الجوزي ١٤١٣هـ.

٨) صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة تأليف عبد الله بن محمد الطيار طبع دار ابن الجوزي ١٤١٣هـ.

وقد أفاد الباحث من هذه المؤلفات والرسائل خاصة الدراسة الثانية: وعنوانها "الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً وهي رسالة ماجستير للباحث عبد الله بن سابح الطيار، وقد طبعتها دار ابن الجوزي عام ١٤٢١هـ في مجلد يحوي (٤٣٠صفحة) حيث بذل فيها الباحث جهداً مشكوراً وبدأها بمقدمة تشتمل على ثلاثة فصول: ضمنها حياة الشيخ، شيوخه وتلاميذه، آثاره ومؤلفاته.

ثم الباب الأول: عن تفسير "تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان" ومنهجه، وفيه فصلان، الأول يتضمن مبحثين: أولهما فيه: اسم تفسيره، وطريقته، ومقصوده من التفسير. والثاني دراسة مقارنة لما رجحه من آراء. أما الفصل الثاني: ففيه منهجه في التفسير في خمسة مباحث: ١/ المنهج العام. ٢/ تفسيره للقرآن بالقرآن. ٣/ تفسيره للقرآن بالسنة. ٤/ منهجه في تفسير آيات الصفات. ٥/ علوم القرآن في تفسيره.

وفي الباب الثاني: استعرض الباحث عدداً من كتب الشيخ السعدي في تفسير القرآن وعلومه وهي:

أ) القواعد الحسان لتفسير القرآن.

ب) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

ج) المواهب الربانية من الآيات القرآنية.

د) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام.

ثم الخاتمة التي ضمنها أهم النتائج وتتلخص فيما يلي:

١/ كشف جوانب مهمة من حياة الشيخ السعدي

٢/ اعتماده على المأثور من الكتاب والسنة.

٣/ اعتماده على السنة بصورة رئيسة.

٤/ خلوه من الإسرائيليات.

وأجرى الباحث مقارنات بينه وبين من تقدمه من أئمة التفسير كالطبري والقرطبي وأبي حيان والبغوي وغيرهم في الآراء التي رجحها خلال تفسيره، وقد استغرقت هذه المقارنة ربع صفحات هذه الرسالة تقريبا[١]. وسأضيف بعون الله إلى ما تضمنته هذه الدراسة مسائل عديدة.

المبحث الثالث: طريقة السعدي في تفسيره:

التزم الشيخ السعدي بالمنهج الذي رسمه في مقدمة تفسيره ومما ذكره فيها ما يلي:

١) جعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه. ولذا فهو يهتم بالمعنى ولا يتوقف عند اللفظ بما يشغل عن المعنى يقول: "وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مُطَوِّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مُقَصِّر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية. وكان الذى ينبغى في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه.

٢) النظر في سياق الآيات، وسياق الكلام، وما سيق لأجله.

٣) مقارنته بما يناظره في المواضع الأخرى.

٤) معرفة أن القرآن أنزل لهداية الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم.

٥) العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله.

٦) معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها والإقبال على تدبره وتفهمه.

٧) كثرة التفكير في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه والنظر فيما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً.

٨) بذل الوسع في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلابد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه.

ثم قال الشيخ: "وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مُطَوِّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مُقَصِّر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية"[٢].

---

[١] **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً** (ص١٣، ١٤، ٣٦٤، ٣٦٥).

[٢] مقدمة **تيسير الكريم الرحمن** (ص٢٣).

ثم قال رحمه الله: "ولما منَّ الباري عليَّ وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين ولأقيده خوفَ الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا مَنْ بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً.ويمكن أن يستنبط مما تقدم ما يلي.

١/ اشتغال الشيخ وعدد من أهل العلم وطلابه بمدارسة القرآن.

٢/ أراد الشيخ أن يكون تفسيره للقرآن تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين.

٣/ غرضه أن يكون المعنى هو المقصود، ولم يشتغل في حل الألفاظ والعقود.

٤/ اعترافه بالفضل للمفسرين السابقين وأنهم قد كفوا من بعدهم في كثير من المعاني.

٥/ اعتماده على الله وطلب عونه بقوله: "والله أرجو، وعليه أعتمد، أن ييسر ما قصدت، ويذلل ما أردت، فإنه إن لم ييسره الله، فلا سبيل إلى حصوله، وإن لم يعن عليه، فلا طريق إلى نيل العبد مأموله.

ثم قال: "وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه جواد كريم. اللهم صلِ على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً"[1].

وقد التزم الشيخ رحمه الله بالمنهج الذي وضعه في تفسيره كما سيتضح مما يرد من أمثلة إن شاء الله.

مكانة القرآن كما في مقدمة التفسير[2]:

نوه الشيخ بشأن القرآن العظيم الفرقان الفارق بين الحلال والحرام، والسعداء والأشقياء، والحق والباطل الذي جعله برحمته هدىً للناس أجمعين فبيّن ما يلي:

* أن الله أنزل كتابه هدىً للناس عموماً، وللمتقين خصوصاً وأن القرآن يهدي من ضلال الكفر والمعاصي، والجهل، إلى نور الإيمان والتقوى والعلم.

[1] مقدمة **تيسير الكريم الرحمن** (٢٣-٢٤).

[2] مقدمة **تيسير الكريم الرحمن** (ص٢٣).

* أنزله الله شفاء للصدور من أمراض الشبهات والشهوات وليحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات. وهو شفاء للأبدان من أمراضها وعللها وآلامها وسقمها.

* أنه لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه لاشتماله على الحق العظيم، في أخباره، وأوامره، ونواهيه.

* أن الله أنزله مباركاً، فيه الخير الكثير، والعلم الغزير وفيه الأسرار البديعة، والمطالب الرفيعة فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة، فسببها الاهتداء به واتباعه.

* وهو مصدق ومهيمن على الكتب السابقة فما يشهد له فهو الحق، وما رده فهو المردود، لأنه تضمنها وزاد عليها.

* أن القرآن هو الهادي لدار السلام، مبين لطريق الوصول إليها، وحاثٌّ عليها. قال تعالى فيه: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ [المائدة: ١٦].

* وهو الكاشف عن الطريق الموصلة إلى دار الآلام والمحذِّر منها على الدوام.

* ولذا قال تعالى مخبراً عنه: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود:١] فبين آياته أكمل تبيين وأتقنها أى إتقان.

* وفصل آياته بتبيين الحق من الباطل والرشد من الضلال، تفصيلاً كاشفاً للبس، لكونه صادراً من حكيم خبير، فلا يخبر إلا بالصدق والحق واليقين.

* ولا يأمر إلا بالعدل والإحسان والبر، ولا ينهى إلا عن المضار الدينية والدنيوية.

* أقسم تعالى بالقرآن ووصفه بأنه "مجيد" والمجد: سعةُ الأوصاف وعظمتها.

* ووصفه بأنه "ذو الذكر" أي يتذكر به العلوم الإلهية والأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة، ويتعظ به من يخشى.

* وأمرنا بتدبره، والتفكير فيه، والاستنباط لعلومه لأن تدبره مفتاح لكل خير، ومحصل للعلوم والأسرار

* فهو هدى وشفاء ورحمة ونور وتبصرة وتذكرة، وبركة وهدى وبشرى للمسلمين.

* افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها فكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك.

وبناء على ذلك أسس الشيخ تفسيره على أصح طرق التفسير للقرآن وهي:

تفسير القرآن بالقرآن:

أولى ما يفسر القرآن هو القرآن الكريم ففي القرآن تبيان لما تضمنه القرآن من إجمال، وتخصيص لما كان عاماً، وفيه تأكيد آية لمعنى آية وقد ضمن الشيخ السعدي تفسيره كثيرا من ذلك كما في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] حيث قال الشيخ: ينهى الله المؤمنين، أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ والمراد بذلك، أسئلة التعنت الاعتراض، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] فهذه ونحوها، هي المنهي عنها. وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] ويقررهم عليه، كما في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة:٢٢٠] ونحو ذلك[1]. وعند قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦] أي: لنسألن الأمم الذين أرسل اللّه إليهم المرسلين، عما أجابوا به رسلهم، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات[القصص ٦٥). ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أممهم. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الخلق كلهم ما عملوا ﴿بِعِلْمٍ﴾ منه تعالى لأعمالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ في وقت من الأوقات، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧] [2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧]. يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات، ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ مسلمة أو كافرة ﴿شَيْئًا﴾ بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها.﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ التي

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (٥٥- ٥٦).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة الأعراف (ص٦).

هي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧-٨] وقالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف ٤٩] ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] يعني بذلك نفسه الكريمة، فكفى به حاسباً، أي: عالما بأعمال العباد، حافظا لها، مثبتا لها في الكتاب، عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلا للعمال جزاءها[1].

تفسير القرآن بالسنة الصحيحة:

والسنة سبيل لبيان القرآن كما قال الله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فالآية بينت أن الله أنزل القرآن على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ليقوم بتبيينه للناس بقوله وفعله وتقريره وكان لبيانه عليه الصلاة والسلام للقرآن طرق:

أ- أن يتلو عليه الصلاة والسلام الآية ثم يبين معناها ابتداء.

ب- أن تشكل الآية على أحد من الصحابة فيبين له معناها.

ت- أن يسأل الصحابة عن معنى آية أشكلت على أحد منهم فيبين لهم رسول الله ﷺ معناها.

وقد أكد الشيخ السعدي في مقدمة التفسير على ضرورة العلم بأحوال النبي ﷺ بقوله: "فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه[2]" ومن هنا كان للشيخ عنايته بالسنة وبما ورد فيها مما يبين الآيات فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦مريم] قال: هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح: أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود؛ تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: "إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة الأنبياء (ص٦٠٠).

[2] مقدمة **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (ص٢٣).

الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[1] وإنما جعل الله لهم وداً،لأنهم ودّوه، فودّدهم إلى أوليائه وأحبابه[2]. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧من سورة السجدة] قال في معنى قوله تعالى: ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦] هذا جواب سؤال، سأل النبي ﷺ بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا من داعيه، بالإجابة، ولهذا قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة[4].

تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم:

شهد الصحابة تنزل القرآن وتعلموه من النبي عليه الصلاة والسلام وهم أهل اللغة والفصاحة والبيان فهم أعلم الناس بالقرآن ولذا يعتبر قول الصحابي في تفسير القرآن من أولى الأقوال بالقبول، وقد أورد السعدي في تفسيره أقوالا لعدد من الصحابة رضوان الله عليهم منها ما أور ده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] قال ابن عباس: "كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له"[5].

---

[1] متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ **صحيح البخاري** (٢٧٢١/٦) باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة برقم (٧٠٤٧). و**صحيح مسلم** (٢٠٣٠/٤) باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده برقم (٢٦٣٧).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة مريم (ص٥٧٨).

[3] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة السجدة (ص ٧٧٠) والحديث في الصحيحين متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ **صحيح البخاري** (١٧٩٤/٤) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ برقم (٤٥٠١). و**صحيح مسلم** (٢١٧٤/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٢٤).

[4] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص٨٥)

[5] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة المائدة (ص٢٤٥).

وعند قوله تعالى {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ [النساء١٠١] قال الشيخ السعدي: "فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف.ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: ﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾ قصر العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حتى سأل عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنَّا؟ أي: والله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقال رسول الله ﷺ: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته" أو كما قال[1].

تفسير القرآن بأقوال التابعين:أورد الشيخ السعدي أقوال عدد من التابعين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩] حيث قال فصل في قصة الحديبية: قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم. وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على الصواب[2].

الإجماع يعتمد الشيخ السعدي في تفسيره على ما نقل فيه الإجماع كما نقل عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [سورة النساء ١٢] حيث قال: وأجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأُم، فإذا كان يورث كلالة أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابن ابن ولا بنت ولا بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة كما فسرها بذلك أبو بكر الصديق ﷺ، وقد حصل على ذلك الاتفاق ولله الحمد[3].

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة النساء(ص ٢٠٢).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة النساء (ص٩٤٧).

[3] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة النساء (ص١٦٨) والحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/٤٧٨) برقم (٦٨٦).

وعند قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾النساء[٤٣] قال السعدي: "وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غبار أم لا"[١].

عنايته بأسباب النزول:

يشير الشيخ السعدي من غير توسع إلى أسباب النزول كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات٤-٥] حيث قال: نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله ﷺ، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد يا محمد، أي: اخرج إلينا، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب[٢]. وانظر كيف نبه على الأدب وأهميته.

وأورد الشيخ سبب نزول صدر سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ١-٤] فقال: "نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله، وجادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة، والأولاد، وكان هو رجلا شيخا كبيرا، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت فقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: تخاطبكما فيما بينكما، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لجميع الأصوات، في جميع الأوقات، على تفنن الحاجات"[٣].

---

[١] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة النساء (ص١٨٢).

[٢] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة الحجرات (٩٥٠).

[٣] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة المجادلة (ص١٠٠٤).

وعند قوله تعالى في صدر سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [١-٣ الممتحنة] أورد سبب نزولها حيث يقول: "ذكر كثير من المفسرين رحمهم الله، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم لا شكاً و نفاقاً، وأرسله مع امرأة، فأخبر النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب"[1].

موقفه من الإسرائيليات:

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله "واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا مترلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ، وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق"[2].

موقفه من أقوال المفسرين السابقين:

ويتضح موقفه من أقوال السابقين مما ذكره عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة الممتحنة (ص١٠١٥).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص٤٧).

جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يقول: "واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري". ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث، بعد أن كان مجملا، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا، واختلف المورد.فبهذا الجمع، يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات، لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح[1].

الربط بين الآيات والترجيح بحسب السياق:

يعتمد الشيخ في تفسيره على النظر في سياق الآيات، وسياق الكلام، وما سيق لأجله كما عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] حيث قال: "ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله أي: نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة"[2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [٢٧- ٣١] أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين[3].

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص٨٣).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص ٧٦).

[3] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة المائدة (ص٢٤٠).

تركيزه على استنباط الحكم والفوائد:

ركز الشيخ السعدي على الفوائد في مواضع عدة وكان منهجه فيها أن يوردها معدودة وقد تصل إلى خمسين فائدة وقد يوردها سرداً من غير حصر كما سيأتي: فعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] حيث قال عندها: "هذه آية الدين، وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها، وذلك يدل على الجواز". ثم قال: "الثامن والأربعون: وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه- اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ التاسع والأربعون: أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده"[1].

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قال الشيخ السعدي: "هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله:

أحدها: أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: بقصدها ونيتها.

الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحِكَم والأسرار في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلما، ويزداد شكرا لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة"[2].

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (١٢٠- ١٢٢).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة المائدة (٢٣٢- ٢٣٤).

استنباط القواعد:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:١٨٩] وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدا بذلك، وظنا أنه بر. فأخبر الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع. ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلا، فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود[1].

وهذه فوائد ينبغي مراعاتها والأخذ بها.

واستنبط الشيخ السعدي من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨] قواعد حيث قال: "يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي:

١) كل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية للّه، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى اللّه ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه.

٢) ومنها: أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

٣) ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي ﷺ الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره اللّه له من باب أولى وأحرى.

٤) ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم.والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، واللّه لا يهدي القوم الظالمين[2].

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص ٨٧).

[2] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة التوبة (٣٩٣).

استنباط المسائل والقيم التربوية:

حوى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان فوائد ومسائل تربوية كما عند قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١] أورد فصلاً قال فيه: "فصل في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنَّة، ومن ذل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها.

ثم عدد الكثير من الفوائد ومنها:

ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، حيث قصَّ على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أمِّيٌّ لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون [1].

ومنها: أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** سورة الذاريات (٩٦٣- ٩٦٤).

ثم ختمها بهاتين الفائدتين فقال:

ومنها: لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك.فنسأله تعالى علما نافعا وعملا متقبلا، إنه جواد كريم.

ثم قال: "تم تفسير سورة يوسف وأبيه وإخوته عليهم الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين". وهو هنا يصرح باسم فريد كما تقدم[1].

وفي تفسير سورة الذاريات لما وردت قصة إبراهيم وضيفه أورد فوائد حيث قال: "فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام. منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم وأين وصلت بهم الأحوال. ومنها: فضل إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته، بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء بها"[2].

ترجيح الشيخ السعدي في بعض المسائل:

للشيخ السعدي في تفسيره آراؤه وترجيحاته فعند قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] قال: "يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفردا مضافا، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج"[3].

---

[1] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** سورة يوسف (٤٦٢- ٤٦٦).

(٢) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** سورة الذاريات (٩٦٣- ٩٦٤).

[3] ينظر **بحث الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** (٧٨، ٧٩) وقد درس الباحث ترجيحاته وقارنها وحصر الترجيحات في ثمانية وعشرين موضعا. من ص (٧٨-١٧٩).

وعند قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] تساءل عندها الشيخ فقال: "ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهرا كالضيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله. وإن كان السبب خفيا، كمن جحد دين غيره، أو خانه في وديعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيدا وتقوية لما تقدم: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي"[١]. وهذا قول راعى فيه الحال واختلاف الحكم باختلافه.

التأكيد على المعاني البديعة:

ومما تضمنه تيسير الكريم الرحمن التأكيد على المعاني البديعة حيث قال: "ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨]فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١] ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية"[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧] أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاما أقامه الله فيه، و لم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينا وشمالا، وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ[٣].

---

[١] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص٨٨).

[٢] **تيسير الكريم الرحمن** تفسير سورة البقرة (ص٦٩).

[٣] **تيسير الكريم الرحمن** (ص).

المبحث الرابع: مميزات هذا التفسير:

من خلال ما تقدم يتضح تميّز تفسير الشيخ السعدي في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" بمزايا منها:

١) سلك في تفسيره طريقة التفسير الإجمالي لا التحليلي.
٢) اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن.
٣) تفسير القرآن بالسنة النبوية.
٤) تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
٥) ذكره لأقوال التابعين.
٦) نقله للإجماع وأخذه به.
٧) الإشارة إلى المهم من أسباب النزول.
٨) نقل أقوال أهل العلم وإجماعاتهم.
٩) البعد كل البعد عن الإسرائيليات.
١٠) مراعاة ما تقتضيه اللغة العربية وعدم الخروج عنها.الربط بين الآيات والترجيح بحسب السياق.
١١) الإشارة إلى القصص القرآني.
١٢) عرض القراءات والإعراب أحيانا.
١٣) الاهتمام بالمسائل الفقهية وعدم ذكر الخلاف إن لم يكن قوياً.
١٤) الأخذ بمنهج السلف الصالح فيما يتعلق بقضايا الإيمان والأسماء والصفات بعيداً عن التأويل والتفسير.
١٥) ذكرأسباب النزول أحياناً.
١٦) استباط المسائل والقيم التربوية.
١٧) التركيز على المقاصد.
١٨) سهولة الأسلوب مع وضوح العبارة.
١٩) عدم التطويل والإطناب، والبعد عن الحشو والتكرار.
٢٠) ترك تفسير بعض الآيات والكلمات من تفسيره إذا كانت واضحة.

٢١) الإعراض عن ذكر التفاصيل والمسائل الفرعية.

٢٢) البعد عن الاصطلاحات العلمية والتعقيدات اللفظية.

٢٣) ترجيح بعض المعاني والأقوال على بعض.

٢٤) مراعاة ما تقتضيه اللغة العربية خصوصاً معاني الألفاظ والتراكيب عند العرب وقت التنزيل.

٢٥) عدم الخروج عن قواعد اللغة عند التفسير بالرأي.

٢٦) مراعاة ما يقتضيه الشرع وما تدل عليه أصول الشريعة فلا يحكم بمجرد المعنى اللغوي بل يراعي ما يناسب مقاصد وأصول الشريعة.

٢٧) لا يخوض في ما استأثر الله تعالى بعلمه كالمشتبهات التي ليس إلى تحديد مرادها من سبيل سوى النقل ولا نقل.

٢٨) لا يقطع بأن ما توصل إليه بالرأي والتدبر والنظر هو مراد الله تعالى.

وختاما أوصي الأخوة العلماء وطلبة العلم بالاستفادة والإفادة من هذا التفسير، وأوصي بالسعي لترجمته باللغة الإنجليزية لتنتفع به البشرية. وأقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده في البدء والختام، وأصلي على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- **ابن جزي ومنهجه في التفسير**: تأليف علي بن محمد الزبيري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار القلم، دمشق.

٢- **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**: تأليف د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية.

٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: تأليف الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به سعد فواز الصميل، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي.

٤- **الجهود الدعوية والعلمية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله**: تأليف عبد الله الرميان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار المسلم، الرياض، السعودية.

٥- **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً**: إعداد عبد الله بن سابح بن صالح الطيار، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ، بمطابع دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

٦- **صحيح البخاري**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه ورقمه الدكتور/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ، دار ابن كثير واليمامة، دمشق وبيروت.

٧- **صحيح مسلم**: للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القيشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٨- **علماء نجد خلال ستة قرون** تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ مطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة.

٩- **الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي دراسة تحليلية ناقدة**: تأليف د. عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الرشودي، طبعة ١٤٢٠هـ، دار ابن الجوزي.

اللآلئ والدرر السعدية من كلام فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: جمعه محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.